د. جوني منصور*

الحرب على لبنان: أُفق المؤيدين وسقف المعارضين

ما زال النقاش حامي الوطيس في صفوف السياسيين والعسكريين والإعلاميين في اسرائيل، وكذلك على المستوى الشعبي العام حول ما إذا كانت هذه الحرب في وقتها، أو إذا كان هناك تحضير مسبق لها، أو فيما إذا عرفت اسرائيل بالتحضيرات لدى حزب الله، وأسئلة وتساؤلات كثيرة ستبقى تقض مضاجع الاسرائيليين من رسميين وشعبيين. لكن المهم هو أن الحرب انطلقت وانتهت وأفرزت مواضيع شتى للبحث والنقاش والجدل، ودون أدنى شك أن الحرب فيما أنتجته ستؤدي إلى إحداث شروخ عميقة داخل المجتمع الاسرائيلي، وأيضا ستؤدي إلى تغييرات في بنية الحكم والمؤسسة العسكرية.

كل هذه التحولات وغيرها كثير ستلقي بظلالها على مستقبل اسرائيل في المنطقة وتطلعاتها السياسية والعسكرية.

ولكن ما يهمنا في هذه المقالة، التركيز على جانب مركزي في هذه الحرب، رافق الاسرائيليين طيلة اشتعال النار فيها، والقصد هنا هو تأييد الحرب ومعارضتها.

عند اندلاع الحرب تجاوزت نسبة المؤيدين على الصعيد الاسرائيلي العام الـ ٧٥٪. هؤلاء اعتبروها حربا عادلة وفق ما أعلنته الحكومة الاسرائيلية طيلة الحرب، أي أن اسرائيل انطلقت إلى حرب فُرضت عليها، وهي ـ أي اسرائيل ـ ستوفر الحماية لشعبها المهدد بالإبادة، وأنها ستحمي حدودها المهددة هي أيضا بالتعدي والخطر.

من هذه النقطة بالذات اعتبرت اسرائيل أن الحرب عادلة بالنسبة لها، وان ما تقوم به من سلسلة العمليات الحربية والقتالية هي

*مؤرخ ومحاضر في كليتي عبلين وبيت بيرل.

مشروعة، لكونها تعرضت إلى اعتداء من حزب الله. هذه التغطية الأخلاقية للخطوات السياسية والعسكرية وتحركات إقليمية ودولية أخرى صبت في بداية الحرب لصالح التوجه السياسي. العسكري الاسرائيلي. بناء عليه فإن مؤيدي الحرب من الاسرائيليين يعتقدون جازمين أن هذه الحرب أخلاقية في الدرجة الأولى بكونها تستند على أسس وقواعد تدفع بالمعتدى عليه إلى حماية نفسه ودولته.

وأظهرت وسائل الإعلام الاسرائيلية على مدار أسابيع الحرب أن المسألة غير مقتصرة على تأييد الحرب من منطلقات أخلاقية فحسب، إنما هناك تيارات أخرى تدعم وتؤيد الحرب على أية دولة عربية من منطلق عقائدي متزمت يعتبر العرب أعداء دائمين لاسرائيل وللشعب الاسرائيلي. ونجد أيضا مؤيدين للحرب من منطلقات انتقامية لحزب الله بعد أن حقق هذا الحزب في نهاية التسعينيات فوزا على الجيش الاسرائيلي وألزمه بالانسحاب من لبنان.

وقد يجد الباحث في انطلاقة الحرب أسبابا أخرى عديدة، منها ما هو متعلق بالشأن العسكري، ومنها ما هو متعلق بالشأن السياسي ومكانة اسرائيل في منطقة الشرق الأوسط.

ومهما كانت منطلقات هذه الحرب فإن المجتمع الاسرائيلي انقسم إلى معسكرين، الأول ونسبته مرتفعة في تأييد الحرب، وأخذت هذه النسبة بالتراجع إلى حد اقل من ٣٠٪، والثاني معارض للحرب ونسبته قليلة وصوته خافت.

مؤيدو الحرب

تنادى مؤيدو الحرب إلى دعم خطوات حكومة اولمرت في كل ما له علاقة بالحرب وحماية الجبهة الداخلية التي تعرضت إلى صواريخ حزب الله بكثافة كانت الأولى من نوعها على اسرائيل منذ العام ١٩٤٨.

فاليمين الاسرائيلي وفر غطاء سياسيا وبرلمانيا لهذه الحرب، فعلى سبيل المثال، تحدث ايفي ايتام قيادي حزب المفدال (حزب الوطنيين المتدين) بأن هذه الحرب أعادت إلى المجتمع الاسرائيلي نضارته وفتحت صفحة جديدة من شبكة العلاقات داخل المجتمع الاسرائيلي ذاته. وأساس هذه الروح الجديدة أن الشعب الاسرائيلي يدافع عن بيته في بيته وليس فقط على حدود دولته(يديعوت احرونوت، ٢٠٠٦/٧/١٨).

ويدعم ايتام وتياره الديني منطلقات الحرب بكونها مصيرية للغاية، فالتراث اليهودي الديني وما نجم عنه عبر العصور المختلفة يقضي بتوفير الحماية لأبناء الشعب اليهودي في حالة أن خطرا أصبح محدقا بهم وقريبا منهم. وان التراث اليهودي ينادي بالسلام الحقيقي وليس سلاما يوفر ملجأ للمجرمين والقتلة. علينا ملاحقة هؤلاء وتصفيتهم بالكامل ليتحقق السلام لنا ولجيراننا(المصدر السابق).

هذا التوجه في الربط بين حاجة اليهود إلى السلام وحقهم في الدفاع عن أنفسهم من منطلق أخلاقي وتراثي ووجودي هو السائد في الأوساط اليمينية والدينية على وجه الخصوص.

ولم يقتصر قول ايتام على مسألة الحماية الجسدية للمواطنين الاسرائيليين، إنما تعدى ذلك إلى الدفاع عن الأرض والحدود. وباعتقاده توجد مؤسستان للأخلاق، واحدة على استعداد للتنازل بألم ووجع كبيرين في سبيل العيش مع الجيران بسلام، مقابل مؤسسة تسعى إلى القتل والتدمير، وان انتصار المؤسسة الأولى، أي مؤسسة الأخلاق اليهودية، هو في حد ذاته شرط لانتصار مؤسسة أوسع تحقق فيها خطوات من اجل رخاء العالم الحر. بمعنى انه يدعي أن الأخلاق اليهودية المستقاة في مجملها من التوراة هي ضمانة لسلام العالم اجمع. هذا الربط الشديد بين أخلاقية الحرب وشرعيتها وبين السلام العالمي هو في أساسه من منطلقات عقيدية ترغب بعض التيارات الدينية اليهودية تحقيقها في سبيل شرعنة الحرب وجعلها مصيرية وأخلاقية، قبل أن تكون حربا أساسها تدمير لبنان وتسوية منشآته بالأرض.

ويدعم مؤيدو الحرب موقفهم هذا بأن العالم أجمع يتطلع بعيون مشدودة إلى لحظة الانتصار لكون هذه اللحظة لن تكون ذاتها فقط إنما ستترك أثرا بعيد المدى مستقبلا على شبكة العلاقات العالمية لكل دول العالم الحر في مواجهة قوى الشر. وفي هذه النقطة بالذات يرى ايتام وبصورة مصغرة وجود محور للشر في المنطقة متمثلا بحركتين هما حزب الله وحماس ، ومتمثلا بدولتين تؤيدان هاتين الحركتين هما سورية وايران. من هذا المنطلق فإن اسرائيل بنظره تقف كالولايات المتحدة والدول الاوروبية إزاء مواجهة محاور شر كثيرة في العالم. بمعنى آخر أن اسرائيل قد أخذت على عاتقها محاربة وتصفية محور الشر القريب منها والذي يهدد وجودها

واستمراره.

مؤيدو الحرب الذين يختصر ايتام مواقفهم منها اعتقدوا أن القضاء على حزب الله من خلال تسديد ضربات من الجو على منشآته ومقراته في الضاحية الجنوبية لبيروت وفي البقاع اللبناني، إضافة إلى الجنوب اللبناني، سيكفل لحكومة لبنان فرصة جيدة لفرض سيادتها العسكرية والأمنية على الشريط الحدودي بين اسرائيل ولبنان. جزء من عمليات تدمير منشآت حزب الله سيسهل على الحكومة اللبنانية تنفيذ خطواتها في الانتشار على طول الشريط الحدودي. والاهم في نظر المؤيدين للحرب أن ضربات قاسية ومؤلمة في قلب المجتمع اللبناني الموالي لحزب الله سيكون الضمانة الأساسية لمناعة المجتمع الاسرائيلي، بحيث سيكون في المستقبل من الصعب ضرب اسرائيل سواء على حدودها أو في مراكزها السكانية.

يرى المؤيدون للحرب أن الخطوات العسكرية المدعومة بمنطلقات أخلاقية وقانونية شرعية هي في حدّ ذاتها الأساس المتين فيما بعد للخطوات السياسية وفي مقدمتها التوصل إلى حل سلمي وفق المقاسات والاحتياجات الاسرائيلية أولا وقبل أي شيء.

لهذا فإن معسكر الحرب في اسرائيل رأى أنه من الضروري المضي في الحرب حتى تحقيق اكبر قدر من الانجازات التي تتيح الفرصة أمام اسرائيل لفرض التسوية السياسية التي تريدها لنفسها.

ويؤكد ايتام في استعراض مواقفه من الحرب على " الأخلاق اليهودية غير المتنازلة، ولتحقيق السلام يجب القضاء على الشر في العالم. ولا يوجد لدينا نموذج أصعب من حزب الله الذي وضع نصب عينه تصفيتنا بالكلية(المصدر السابق).

أما مؤيدو الحرب بكونها حربا كان يجب أن تكون قصيرة ومختصرة ولأهداف محددة، فيعتقدون انه كان يتوجب على الجيش الاسرائيلي تنفيذ عمليات محددة والاكتفاء بذلك، بدلا من التورط الشديد في الحرب، والتي لم تعد تصب في الأهداف المرجوة منها. بمعنى آخر أن تيارات كثيرة داخل المجتمع الاسرائيلي تؤيد الحرب على حزب الله بالطرق الكفيلة بتصفيته.

نحاميا شتراسلر من جريدة هآرتس والمعروف بمواقفه النقدية اللاذعة لم يكتب في الأسبوعين الأولين للحرب عن معارضته التامة للحرب لمجرد كونها حربا. ان ما كتبه هو مؤيد للحرب ولكن بشروط خاصة تحددها القيادة السياسية الاسرائيلية. " ولعدم التمكن من تحقيق الاهداف الكبيرة والبارزة التي أعلنتها الحكومة في اندلاع الحرب، كان يجب الاكتفاء بالرد المحدد والحيلولة دون وقوع أضرار وإصابات، وهي في واقع الأمر آخذة بالازدياد (هآرتس ٢٠٠٦/٧/٢٥).

وتناولت وسائل الإعلام الاسرائيلية المختلفة تحليلات قياديين عسكريين سابقين وحاليين، فتبين ان نسبة عالية من صفوف هؤلاء تؤيد الحرب وتدعو إلى الاستمرار فيها إلى حين تحقيق نصر أكيد. ومن الواضح أن تطورات العمليات الحربية في الأسبوعين الأولين بينت ضعف جوانب استخباراتية ولوجستية وحربية اسرائيلية أمام استعدادات حزب الله للحرب.

وبالرغم من ذلك وبالنسبة للمستوى العسكري، فان أي إخفاق في الحرب معناه تحطيم هالة ومكانة الجيش الاسرائيلي الأسطورة. عوزي ديان جنرال احتياط ونائب رئيس الأركان ورئيس مجلس الأمن القومي سابقا في اسرائيل رأى بضرورة استمرار الحرب، بل وتقويتها من المنطلقات التالية: (أ) السبب الرئيسي والمباشر للحرب قيام حزب الله بتسديد ضربات متواصلة على الأراضي الاسرائيلية بعد الانسحاب الاسرائيلي من لبنان في ٢٠٠٠. هذه الضربات والاعتداءات من حزب الله على اسرائيل منحت الحكومة الاسرائيلية الحق الشرعي بالرد عليها، وسط دعم شعبي واسع النطاق داخل اسرائيل وتأييد دولي. (ب) منح المواطنين في اسرائيل الأمن والسلامة من خلال إزالة وإبعاد خطر الصواريخ، وإعادة بناء قوة الردع والحصانة الأمنية والعسكرية لاسرائيل، وإعادة المخطوفين. (ج) لتحقيق أهداف عسكرية يمكن نيلها بسهولة (وفق اعتقاد ديان) ومنها احتلال أراض وإبادة العدو ومنشآته، حتى لو كانت ردود فعل العدو قاسية وشديدة. ويجب ألا نتوهم أن صمود حزب الله المؤقت سيؤدي إلى زعزعة ثقتنا بجيشنا. علينا تدبير الأمور السياسية إلى جانب القرارات العسكرية والاقتصادية والقضائية والدعم الإعلامي المحلي والعالمي لخطوتنا هذه(يديعوت احرونوت ٢٠٠٦/٧/٢٣).

ولم يكتف ديان بعرض موقفه السياسي والعسكري من تأييد الحرب، إنما ولكونه عسكرياً مخضرماً وفر سلسلة من النصائح

جندي اسرائيلي يكتب رسالة على قذيفة.

للمستويين السياسي والعسكري: أولا يجب معرفة العدو. حزب الله هو منظمة سياسية وإرهابية، تدير من لبنان الحرب الايرانية ضد اسرائيل. وان ايران وسورية قد زودتا حزب الله بكل الوسائل القتالية وفي مقدمتها صواريخ متطورة من حيث وصولها إلى مدى بعيد وإلحاق إصابات قاسية وموجعة في العقر الاسرائيلي. وثانيا ان حزب الله يدير السياسة في لبنان وعلينا السعي إلى منع ذلك، بواسطة دعم حكومة لبنانية تتجاوب مع متطلباتنا الأمنية والسياسية. وثالثا علينا الاستعداد لإمكانية قيام حزب الله بتسديد ضربات إرهابية ضد مواقع اسرائيلية في العالم.

مقابل تأييده للحرب، يعترف عوزي ديان بعجز الجيش الاسرائيلي عن إيقاف صواريخ الكاتيوشا على شمال اسرائيل، وانه لن يستطيع تدمير كافة منصات إطلاق الصواريخ سواء أكانت من الكاتيوشا أم الصواريخ المتقدمة الأخرى. ولكن " علينا ألا نتوقف عن ضرب حزب الله إلى أن نصل إلى توازن بيننا وبينه. لهذا فإن وقف إطلاق النار في الأسبوع الثاني كان مفيداً لحزب الله وليس لنا(ديان، يديعوت احرونوت، ٢٣/٧/٢٠٠٦).

ولتحقيق النصر الذي سيترك أثرا بالغا على شكل وصورة حياة المجتمع الاسرائيلي يجب خلال القيام بالعمليات الحربية (اعتمادا على ما كتبه ديان):

- الاستمرار في ضرب مواقع حزب الله من الجو وتعميق الإصابات في صفوفه. والأهداف يجب أن تكون محددة: منصات صواريخ ومقرات قيادات حزب الله المنتشرة في لبنان. ومن الأهمية بمكان إلحاق إصابة بحسن نصرالله أو تحويل صورته إلى إرهابي مطلوب في العالم.
- إدخال قوات برية لمسافة بضعة كيلومترات إلى الشمال من خط الحدود. ومهمة هذه القوات تطهير وتصفية المنطقة من جيوب حزب الله وإزالة الخطر الجاثم على الشمال الاسرائيلي. وتتم هذه الخطوة بتدمير كلي لمواقع عسكرية لحزب الله، وإلقاء القبض على عدد من نشيطي الحزب ليكونوا ورقة مساومة بيد اسرائيل فيما بعد، خاصة لموضوع تبادل الأسرى.
- الاستمرار في عزل لبنان، وبالتالي قطع العلاقات بين لبنان وسورية بشكل كلي حتى لو اقتضى الأمر تسديد ضربات من الجو على مواقع في سورية في لبنان أو مواقع سورية لها دور في لبنان.
- تقوية وتثبيت الجبهة الداخلية ومحاولة إعادتها إلى مسار الحياة الطبيعي والعادي، كي لا نفقد قوة الدعم والردع الداخلية التي تشكل قوة أساسية في دعم خطواتنا القتالية.
- وضع سيناريو مخطط لما بعد الحرب من وصول قوات لبنانية تحت إمرة الحكومة في بيروت، وكذلك وصول قوات فصل وإشراف دولية إلى جنوب لبنان مقابل خروجنا من الجنوب اللبناني. هذه الخطوة تقوي وجودنا في لبنان وتمنحنا الفرصة لمواصلة ضرب حزب الله، وبهذه الخطوة نكون في مسار دعم حكومة فؤاد السنيورة. (المصدر السابق).

وانضم عدد من المفكرين والكُتّاب الاسرائيليين لتأييد مصداقية وشرعية الحرب على لبنان. الكاتب الاسرائيلي المعروف أ.ب.يهوشواع أعلن بصريح العبارة ما يلي" في النهاية حرب عادلة". معنى ذلك أن ما تمناه الاسرائيليون في الماضي لم يكن سلاما إنما حرب (من نقد وجهه افنير عنبار في هآرتس إلى يهوشواع بتاريخ ٢٥/٧/٢٠٠٦).

الادعاء بأن الحرب على حزب الله غير موجهة ضد حكومة أو شعب لبنان بقي مسألة سائدة طيلة فترة الحرب لدى معسكر مؤيدي الحرب. أضف إلى ذلك أن هذا المعسكر تمسك بقوة وزخم كبيرين بأن هذه الحرب فرضت على اسرائيل، وسنجد مثل هذه المواقف في معسكر معارضي الحرب او جزء منها، بكونها حربا فرضت على اسرائيل، كما يرى كثيرون من الإعلاميين، فإنه

يتوجب على اسرائيل تحقيق نصر وانجاز كبير ضد حزب الله، كتب يوئيل ماركوس:" الحديث هنا عن حرب اللامفر بحيث انه يجب علينا الخروج منها منتصرين بالتمام. ويجب علينا تسديد ضربات قاسية من الجو والبر ليتحول حزب الله إلى قوة ضعيفة للغاية، وينسحب إلى ما وراء الخطوط الدولية على الحدود اللبنانية-الاسرائيلية. علينا تغيير قواعد اللعبة التي فرضها حزب الله. ويحذر ماركوس ألا تتحول الحرب إلى حرب استنزاف. ويجب عدم توسيع الحرب إلى أكثر من حدودها وتوجهاتها المسبقة. ويذكر ماركوس أن اسرائيل لا تملك الوقت كله لتنفيذ مخططها" (هآرتس ٢٥/٧/٢٠٠٦).

معارضو الحرب

ارتفعت أصوات اسرائيلية معارضة للحرب على لبنان منذ بدايتها، ولكن هذه الأصوات كانت خافتة وخجولة ولم تحظ برعاية أو باهتمام وسائل الإعلام الاسرائيلية التي تجندت بالكلية لدعم مشروع الحرب والوقوف إلى جانب القيادتين السياسية والعسكرية، والترويج للحرب عالميا بواسطة أحد أهم وابرز وسائل الدعاية والنشر.

وبالرغم من أن الأصوات المعارضة للحرب كانت هكذا، إلا أنها بدأت تزداد وتقوى مع تقدم الأيام ومع توالي الضربات التي لحقت بالجيش الاسرائيلي في الجنوب اللبناني، وفي الجبهة الداخلية في اسرائيل.

من جهة أخرى فمعارضة الحرب، وهذا ما يجب أن نفهمه جيداً، تندرج في مستويات مختلفة. فهنالك من عارض الحرب بالتمام، ومنهم من عارضها بشروط معينة، ومنهم من عارض خطوات معينة في الحرب.

حديثنا سيتمحور حول المجموعة التي عارضت الحرب بالكلية، ورأت فيها خطرا على وجود ومستقبل اسرائيل والشعب الاسرائيلي في منطقة الشرق الاوسط، وان الحرب تقوض فرص تحقيق السلام مع العرب عامة ومع الفلسطينيين خاصة.

تسالي ريشيف، من مؤسسي معسكر السلام الآن، وعضو في الكنيست الخامسة عشرة السابقة كان من معارضي الحرب، وانطلق موقفه هذا من عدة نقاط ذات أهمية في جعل اسرائيل منطقية

ازدياد الخسائر الاسرائيلية غيرت الاتجاه.

السلوك والرؤية المستقبلية. كتب في صحيفة يديعوت احرونوت في ١٨/٧/٢٠٠٦ والحرب لم تنه أسبوعها الأول بعد:" الحرب هي الموت، هي الثكل، أُمهات يبكين اولادهن، هي الدمار، الخراب، هي ظاهرة إنسانية قبيحة. الحرب تعكس مشاعر كراهية، نقمة، أنها تُخرج من جوف الإنسان الشر في ذاته. الحرب هي عكس الرغبة في الحياة في الحب وتنشئة الأطفال والإنتاج والإبداع"، قد يبدو أن هذه الفقرة التي كتبها ريشيف هي افتتاحية لموضوع إنشائي وصفي، ولكن الحقيقة أن هذه المشاعر ما هي إلا امتداد لموقف اسرائيليين معارضين للحرب.

ولا يتوقف ريشيف عند هذا الوصف، بل انه يحاول تحليل مواقفه المعارضة على النحو التالي: " الشعب الاسرائيلي عاش طيلة ستين عاما حروبا كثيرة وكان دائما يتطلع إلى السلام، ولكن الادعاء الدائم أن أعداءنا كانوا ضدنا مما حال دون تحقيق ذلك، جيد من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فإن حساباتنا ملئى بالدم.

كم مرة خضنا حربا بسبب عدم رغبتنا في الحوار مع الطرف الثاني. وذلك لأننا نؤمن انه بإمكاننا فرض حلول بالقوة على الطرف الآخر. رجال الاستراتيجية خططوا لنا حروبا إلى جانبها وقفت مخططات سياسية محتملة. هكذا نريد ترتيب

مدنيون لبنانيون ضحايا الحرب.

الأوراق في لبنان وهكذا نحاول تدمير حكومة حماس في السلطة الفلسطينية. مرات كثيرة صوبنا وجهتنا نحو الحرب لأننا خشينا التنازل. وجهتنا نحو الحرب نابعة من ضعف سياسي، من منطلق جمود في المسار التفاوضي". ويضيف ريشيف موجها نقدا شديدا الى حكومة اولمرت: "إن هذه الحكومة متهمة هي الأخرى بالخطيئة الاسرائيلية الأصلية. لقد ولج اولمرت مكتب رئيس الحكومة مصرحا بأنه سيضع حدا للاحتلال. ولكنه قبل ان يركز جلسته على كرسي الحكم وجد نفسه في مواجهة حكومة حماس المنتخبة شرعيا من قبل الشعب الفلسطيني. وبدلا من يحاول الدخول في مفاوضات مع المتطرفين الفلسطينيين اختار اولمرت في المرحلة الأولى مقاطعة السلطة الفلسطينية. وفي مرحلة متقدمة عمل على تجنيد ائتلاف دولي لوضع هذه الحكومة في طرف المعادلة وتجريدها من كافة الصلاحيات، ولكن ما النتيجة؟ إطلاق صواريخ القسّام من غزة، ونحن بالمقابل أعدنا إلى الأجندة عمليات التصفية والاغتيالات وقتل عشرات المواطنين الأبرياء في غزة. وهذا في حد ذاته كان سببا في تصعيد حماس للقتال ضدنا واختطاف الجندي شليط. وهنا للمرة الألف أخطأنا في اعتقادنا انه بالإمكان فرض حلول بالقوة. إن الحرب في غزة ستزيد من القتل والدمار والثكل ولكنها لن توقف العداء مطلقا ولن تعيد الجندي شليط" (يديعوت احرونوت ١٨/٧/٢٠٠٦).

ويعتقد ريشيف وأعضاء كثر من معسكر السلام أن انسحاب الجيش الاسرائيلي من لبنان في العام ٢٠٠٠ كان خطوة حكيمة وفرت أرواحا كان من الممكن ان تزهق سدى. ولكن ريشيف يرى في حزب الله منظمة إرهابية تؤدي خدمات لايران وسورية. وان هذه المنظمة باستعداداتها للحرب ستنشر الدمار والخراب. وهذا الوضع شكل خطرا على اسرائيل. لهذا أصبحت الظروف مناسبة لعملية عسكرية محددة وليس لحرب.

ويعتقد ريشيف انه في حالة زمنية معطاة ومحددة حينما يتربص الخطر من فوق رأسك لا بد لك من الدفاع عن نفسك. هذا ما تكون وتبلور في الحالة اللبنانية. هذا من جهة تبرير الحرب أو برأيه عملية حربية محددة. ويطرح ريشيف السؤال المركزي: هل من مصداقية لهذه الحرب؟ هل تدمير أحياء كاملة في بيروت هو أمر عادل وصادق؟ هل يمكن اختيار أهداف دون تمييز بكونها عدوة أم لا؟ واضح أن الإجابات عن هذه التساؤلات هو سلبي للغاية. ويوضح ريشيف بكلام حذر للغاية انه حتى فيما لو كانت الحرب إجبارية للدفاع عن النفس، فيجب أن تكون متناسبة مع السبب، والامتناع عن التعرض للمدنيين.

وبناء عليه نادى ريشيف إلى توقيف الحرب والامتناع عن جر المحافل الدولية إلى معارضة سبب الحرب الذي من اجله انطلقت اسرائيل في عملياتها العدائية على لبنان.

وبالرغم من معارضته الحرب - ليس بالكلية - فإنه عبر عن ضرورة مواصلة ضرب حزب الله والمطالبة بالسيادة اللبنانية الرسمية على أراضي الجنوب، وإعادة الهدوء والسكينة إلى الحدود الشمالية. ولكن كل خطوات الحرب التي تم تنفيذها خلال الأسبوع الأول لا تمنح الحكومة الاسرائيلية ولا الجيش الاسرائيلي سندا مفتوحا لمتابعة العمليات الحربية بدون حدود(المصدر السابق).

وكان واضحا لدعاة معارضة الحرب أو شكل من أشكالها أن الحرب في أسبوعها الثاني أفرزت مؤشرات إلى خسارة الجيش الاسرائيلي لهذه الجولة، كتب يوآب بوروفيتش: "خسرنا هذه الحرب إلى الآن، وسنخسر ضمنا الحرب القادمة، إذا لم نصوب مدافعنا السياسية وليس الحربية نحو السلام، حينها سيكون مصير أولادنا مرا. قوتنا الداخلية والخارجية آخذة بالضمور، الحل الوحيد هو السلام الآن(هآرتس، ٢٥/٧/٢٠٠٦).

ومن بين تيارات معارضة الحرب أُولئك الذين يرون فيها دمارا لمجموعة من أركان الاقتصاد الاسرائيلي الهش في بنيته التحتية والمتآكل من أكثر من عقد من الزمان. هؤلاء لم يرفضوا

وهناك من الاسرائيليين من يعزو تدهور الوضع على الجبهة الشمالية لاسرائيل إلى رفض شارون تجديد المفاوضات مع بشار الاسد الرئيس السوري كاستمرارية لما بدأه والده حافظ الاسد من قبل. " شارون رفض دعوة الاسد بسخرية كبيرة قائلا انه. أي الاسد. غير جدي وان الاميركان لن يسمحوا لنا بالتفاوض معه لأنه يدعم الارهابيين في العراق، وان سورية لا تشكل مصدر خطر على اسرائيل لأن جيشها صدأ من فترة طويلة"(ران ادليست في يديعوت احرونوت، ٢٠٠٦/٧/١٧). وجوابا على موقف شارون قامت سورية بدعم حزب الله. معنى ذلك أن حزب الله هو وسيط في تحفيز اسرائيل بالتعجيل للتفاوض مع سورية.

الحرب لكونها عسكرية وشرعية وأخلاقية، إنما لكونها تصيب الاقتصاد الاسرائيلي بضرر كبير. تكلفة الحرب ستقع على كاهل المتضررين منها في الشمال أولا ثم في بقية مناطق اسرائيل. ويتساءل نحميا شتراسلر :" هل أخذ اولمرت وبيريتس بعين الاعتبار وبحساباتهم للحرب أن الحكومة لن تقوم بأي إجراء لتحسين الظروف الاقتصادية مثل تقليص الفجوات ومكافحة ظاهرة الفقر وتوفير المساعدات للمسنين والعاطلين عن العمل؟"(هآرتس ٢٠٠٦/٧/٢٥).

وبالرغم من أن معارضي الحرب قليلو العدد كما اشرنا إلا أن ظلال الحرب وتوابعها التي بدأت تظهر في اسرائيل دفعت بعدد منهم إلى المطالبة بإيقافها في الحال. شتراسلر في عجالة من أمره نادى في الأسبوع الثاني للحرب أن تعلن اسرائيل أنها حققت انتصارا على حزب الله وان توافق في الوقت ذاته على مقترحات التفاوض والوساطة. ولكن المتمعن في ما يقصده شتراسلر يتبين له أن عجز الجيش الاسرائيلي عن مواصلة الحرب دون تمكنه -أي الجيش- من حسم الحرب هو احد الدوافع المركزية لمناداته هذه.(المصدر السابق).

ومن بين الأصوات المعارضة للحرب في اسرائيل كان الباحث د. عيدان لنداو من جامعة بن غوريون في النقب الذي كتب في الأسبوع الأول للحرب مقالة فيها ثمانية طروحات منطقية لحرب غير منطقية، منها:" نشر الدم والخراب والدمار وتدمير الجسور والطرقات كي لا تستخدم لتهريب المختطفين، وقتل عائلات أثناء هربها حماية وصونا لحياتها بهدف أن تضغط على حزب الله، والمشاغبة الكبيرة حتى يسود هنا هدوء كلي. وتوجيه التهم بصورة متواصلة إلى الآخرين بأنهم السبب في كل ذلك. كل ذلك لم يقف أمام متخذي القرار بأن الشعب لا يريد أن يموت. لا يريد أن يكون بطلا. نريد إعادة الأسرى أحياء وليس في توابيت. لا نريدكم أن تقتلوا باسمنا ولا نريد أن نموت من أجلكم. نحن نهاب الموت وموتنا لا يخيف احداً. لهذا ادعوكم إلى غسل وجوهكم والصحوة الآن وإعادة ألعابكم الفتاكة إلى مستودعاتها. نريد الحفاظ على حياتنا"(يديعوت احرونوت ٢٠٠٦/٧/١٩).

وهناك من الاسرائيليين من يعزو تدهور الوضع على الجبهة الشمالية لاسرائيل إلى رفض شارون تجديد المفاوضات مع بشار الاسد الرئيس السوري كاستمرارية لما بدأه والده حافظ الاسد من قبل. "شارون رفض دعوة الاسد بسخرية كبيرة قائلا انه.أي الاسد.غير جدي وان الاميركان لن يسمحوا لنا بالتفاوض معه لأنه يدعم الارهابيين في العراق، وان سورية لا تشكل مصدر خطر على اسرائيل لأن جيشها صدأ من فترة طويلة"(ران ادليست في يديعوت احرونوت، ٢٠٠٦/٧/١٧). وجوابا على موقف شارون قامت سورية بدعم حزب الله. معنى ذلك أن حزب الله هو وسيط في تحفيز اسرائيل بالتعجيل للتفاوض مع سورية. وان حزب الله سيكون السوط الذي سيضرب اسرائيل وجيشها الفاخر. أما الحدث الثاني الذي أشعل فتيل هذه الحرب هو ما يجري في قطاع غزة وقيام الجيش الاسرائيلي بتصفية حماس. أما الحدث الثالث فهو اختطاف الجنود الاسرائيليين أمام عيون قيادات هذا الجيش، وضعف وتراجع الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية، كل هذا ما هو إلا مؤشر أمام الجمهور الاسرائيلي أن جيشه الاسطوري مصاب بالتهلهل. لهذا انطلقت الحرب لإعادة صورة ومكانة الجيش إلى حيث يجب أن تكون. ولكن مرة أخرى وخلال فترة قصيرة ظهرت تشققات في حصن

الجيش الاسرائيلي. فلم يتمكن تحقيق نصر أو حتى انجاز عسكري كبير وضخم. الخسائر كبيرة في الأرواح والمعدات والاقتصاد والحياة الاجتماعية، والثقة بين الجمهور والحكومة زادت وهناً.

لهذا لا بد من توقيف الحرب (هذا ما دعا إليه ران ادليست في مقالته اعلاه): "الدخول في مفاوضات اساسها وقف اطلاق النار. انتشار الجيش اللبناني حتى الحدود الدولية، انسحاب الجيش الاسرائيلي من غزة، وقف اطلاق القسام، توقيف عمليات التصفية والاغتيالات، والاهم في الظروف الراهنة تحرير وأطلاق سراح معتقلين وأسرى أيديهم غير ملطخة بالدماء، وبقية المسجونين من غير ذنب اقترفوه"(المصدر السابق).

هذه المعادلة التي رسمها ادليست قبل نهاية الأسبوع الأول من الحرب لم تلق تجاوبا كبيرا في الشارع الاسرائيلي العام، أو في أروقة متخذي القرارات السياسية والعسكرية، لكون المحافل السياسية والعسكرية كانت تأمل في تحقيق انتصار بعد العمليات العدائية الجوية على الضاحية الجنوبية لبيروت، والتي أعقبها عدوان واسع على معظم قرى ومدن لبنان ابتداء من الساحل وحتى الداخل اللبناني. وما إتاحة الفرصة للمعارضين لكتابة ونشر ارائهم سوى جزء من اللعبة الديمقراطية التي تدعيها الصحف والإعلام الاسرائيلي عامة.

وهناك من نادى إلى تغيير وجهة نظر أو الأدق رؤية الجيش لتتحول من تمسك بمواقف عسكرية صرفة إلى رؤية أكثر مدنية تستطيع أن ترى الأفق بصورة أفضل(رأي دورون روزنبلوم، هآرتس ٢٠٠٦/٧/٢١).

خلاصة

لم يتمتع معسكر معارضي الحرب بحظوة في هذه الحرب، لكون معسكر مؤيدي الحرب مشبع مسبقا بمواقف مناصرة للحرب وضرورة خوضها لأنها حرب اللامفر منها.

معسكر مؤيدي الحرب تمتع بمكانة مرموقة في بدايات هذه الحرب، ولكنه سرعان ما بدأ بالتصدع والتراجع. ولكن هذه النقطة بالذات لم تتحقق حتى النهاية لكون كراهية حزب الله مستولية على كل صفوف الشعب الاسرائيلي بدون استثناء.

التأييد الذي نالته الحرب كان من منطلق أن اختتامها خلال أيام سيكون مضمونا، وسيكون النصر حليف اسرائيل. لكن استمرار الحرب إلى ما بعد أسبوع وأسبوعين ووصول صواريخ الكاتيوشا والصواريخ العادية وبعيدة المدى إلى العمق الاسرائيلي غيرت من معادلات المعسكر، وبدأت ترتفع الأصوات بتوقيف الحرب أو التوصل إلى تسوية مؤقتة تخرج اسرائيل من المستنقع الذي دخلت إليه.

ولكن يجب علينا التذكير أن المجتمع الاسرائيلي بغالبيته الساحقة كان مع الحرب، ولكن عندما بدأت مكانة الجيش بالتصدع وتوالت الهزائم وارتفعت أعداد الضحايا من المدنيين والعسكريين أخذت الأصوات تنادي بتوقيف الحرب أو تغيير مجراها . باعتقادي أن احد أسباب المضي إلى قبول وقف إطلاق النار بالرؤية العسكرية.السياسية الاسرائيلية، جاء للحفاظ على مكانة أقدس مقدسات اسرائيل " الجيش الاسرائيلي " الذي لا يقهر. مكانة هذا الجيش تضررت ولحقت به ضربات قاسية وموجعة، وكشفت الحرب عن قصور في إدارته، ما حتم توقيف الحرب للبدء بجلد الذات ومحاسبة المسئولين وجز رؤوس من يجب أن تجز أو من سيكون الضحية والقربان في هذه الحرب الغريبة التي خاضتها اسرائيل وغيرت موازين القوى والتفاعلات السياسية في المنطقة، ولأول مرة منذ العام ١٩٤٨.

لم يكن الإعلام الاسرائيلي منزها وبريئا من جر اسرائيل إلى ساحة المعركة. مساهمة الإعلام المجند لصالح الحرب والقيادة العسكرية لعب دورا بارزا في تجنيد الرأي العام لصالح الحرب، ولكن عندما تبدلت الأوراق الخاصة بلعبة الحرب، بدلت بعض هيئات الإعلام من توجهها وبدأت تتدارس خفايا هذه الحرب.

وستكشف مرحلة ما بعد الحرب طبيعة الرؤية الإعلامية الاسرائيلية المغلفة بالديمقراطية، لتتوضح الصورة في مسار التعاون غير المتفق بشأنه بين السياسة والإعلام في اسرائيل. هذا من جهة، ولتبين المرحلة القادمة أن الإعلام في اسرائيل هو جزء من النظام العسكري الذي تعيشه الدولة.